



الدرس الثالث



الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

في هذه الحلقة -بإذن الله- سنشرع في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه، قال: **(«إِنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بَيْتٍ، قَدْ أَذْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَتَزَعَتْ لَهُ، فَسَقَتْهُ، فَغَفَرَ لَهَا».**
وقال: **«دخلت النَّارَ امرأة في هرة حبستها؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».** قال الزَّهْرِي: **«لِئَلَّا يَتَكَلَّ أَحَدٌ وَلَا يَبْأَسَ أَحَدٌ».** أخرجاه).

وكما ذكرت -أخي الفاضل- وقرأت هذين الحديثين من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه.

- الحديث: **(وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً: «إِنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بَيْتٍ، قَدْ أَذْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَتَزَعَتْ لَهُ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ، فَغَفَرَ لَهَا».)**
هذا الحديث مخرَّج في الصحيحين من حديث ابن عمر -رضي الله عنه- وكذلك من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

تحت هذين الحديثين مسائل:

❖ **المسألة الأولى:** بعض المفردات تحتاج بيان، مثلاً: النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«إِنَّ امْرَأَةً**

بَغِيًّا»، البغيُّ: هي المومس التي تزني وتقبض أجراً على فعلها -نسأل الله العافية والسلامة.

- ومن الألفاظ التي تحتاج بيان في الحديث: قال: **«فَتَزَعَتْ لَهُ مُوقَهَا»**، الموق: هو الذي يلبس فوق الخُف، وهي كلمة فارسيّة معرّبة.

فهذه المرأة رأت هذا الكلب بلغ به العطش مَبْلَغًا عَظِيمًا جَعَلَهُ قد أدلَع لسانه -وهذا وصف لحالة الكلب- في يوم حارٍّ، وهي قد وصلت إلى بئرٍ -الذي يؤخذ منه الماء- فعملت عملاً، وهو أنه من رحمتها بهذا الكلب نَزَعَتْ لَهُ هذا الموق وأخذت من خِلاله الماء فسقت هذا الكلب، هذا عمل فعلته وهي امرأة وقعت في كبيرة من كبائر الذنوب، وهي مُستديمة على هذه "الكبيرة"، وهي كَبِيرَةُ الزَّنا -أعاذنا الله وإياكم من هذا- فَقَابَلَهَا اللهُ -عَزَّوَجَلَّ- بالمغفرة لها من أجل هذا العمل.

• نفسير الحديث الذي بعده: قال: «دَخَلَتِ النَّارَ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ».

الهرّة: هي أنثى القط.

• هذه الهرّة «حَبَسَتْهَا»، أي: منعتهَا من أن تنطلق.

• قال: «لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا» حينما حبستها.

• قال: «وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»؛ لَأَنَّ الْهِرَّةَ تَأْكُلُ خَشَاشَ الْأَرْضِ، أي: الحشرات وما شاكل ذلك.

• ثم ختم الزهري -رحمه الله تعالى- قال: (لَيْلًا يَتَكَلَّ أَحَدٌ وَلَا يَبْأُسُ أَحَدًا)، سنأتي عليه بالبيان -إن شاء الله- من خلال المسائل.

❖ **المسألة الثانية:** مما يُستفاد من هذين الحديثين: أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ إِذَا قَوِيَ الْإِخْلَاصُ فِيهِ قَدْ

يَأْتِي عَلَى السَّيِّئَاتِ كُلِّهَا بِالْمَحْوِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَلَوْ كَانَ فِي نَظَرِكَ قَلِيلًا، وَلَكِنْ إِذَا اسْتَكْمَلَ شُرُوطُهُ، وَعَظُمَ الْإِخْلَاصُ فِيهِ؛ يَأْتِي عَلَى السَّيِّئَاتِ كُلِّهَا فَيَمْحُوها، وَهَذَا فَضْلُ اللَّهِ وَمِنْ رَحْمَتِهِ -عَزَّوَجَلَّ- بَخْلَقِهِ.

❖ **المسألة الثالثة:** حَبَسُ الْحَيَوَانِ وَتَعْذِيبُهُ لَيْسَ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، بَلْ هُوَ مُحَرَّمٌ، فَالْمَرْأَةُ حَبَسَتْهَا

وَلَمْ تُطْعِمِهَا وَلَمْ تَرَكَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْعَمَلُ فِي صُورَتِهِ عَمَلٌ يَسِيرٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ -نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

ولهذا فالإنسان ينبغي عليه أن يعتني بمتابعته للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في عمله، وبتحقيق الإخلاص في الأعمال.

ولهذا يقول أهل العلم: تحقيق الإخلاص، وتجريد المتابعة؛ لَأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ إِذَا أَخْلَصَ الْإِنْسَانُ فِيهِ لِلَّهِ -عَزَّوَجَلَّ- كَانَ ثَوَابُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا. ولك عبرة في قصّة المرأة البغي.

❖ **المسألة الرابعة:** كان ابن المبارك -رحمه الله- يقول: "كَمْ مِنْ عَمَلٍ قَلِيلٍ عَظُمَتِ النِّيَّةُ، وَكَمْ

عَمَلٍ عَظِيمٍ حَقَّرَتِ النِّيَّةُ"، ولهذا فَإِنَّ تَفَاضُلَ الْأَعْمَالِ لَيْسَ بِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ كَمَا يَتَصَوَّرُ النَّاسُ، وَإِنَّمَا بِحَسَبِ مَا يَقُومُ فِي الْقُلُوبِ.

ولهذا فالإنسان يرجو من كُلِّ عَمَلٍ فَضْلَ اللَّهِ -عَزَّوَجَلَّ، وَيَخْشَى مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَأَنْتَ رُبَّمَا تَعْمَلُ بَعْضَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهَا يَسِيرَةٌ، وَلَكِنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ إِذَا تَحَقَّقَ الْإِخْلَاصُ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- يَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ.

والخبينة: هي الأعمال التي لا يطلع عليها أحد.

كانوا يُحبون ذلك حتى يَعْظُم الإخلاص فيها؛ لَأَنَّهُ إِذَا عَظُمَ الإخلاص في العمل عَظُمَ الأجر من الله -سبحانه وتعالى.

فانظر إلى تلك المرأة التي أسرفت على نفسها بالمعاصي، فَعَمِلَتْ هذا العمل وأخصلت فيه لله -عزَّ وجلَّ- رجاء ثوابه، فكان ذلك من أسباب المغفرة -نسأل الله أن يغفر لنا.

• لهذا -كما قلت: إِنَّ الأعمال لا تتفاضل بصورتها الظاهرة، وإنما تتفاضل بحسب ما يقوم في قلب العبد، ولهذا «سبق درهم ألفي درهم، وسبق دينار ألف دينار»^١، ما الذي جعله يسبقه؟ الإخلاص لله -عزَّ وجلَّ.

فهذا ينبغي للإنسان أن يُعنى بتحقيق الإخلاص لله -سبحانه وتعالى.

• ولهذا وردت أحاديث كثيرة في غير هذا الموضوع: «أن رجلاً أَمَاط شوكة عن الطريق فغفر الله له»^٢.

إذن لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولا تحقرن الأعمال في صورتها الظاهرة، قَرَّبَ العمل القليل عَظَمَتِهِ النية وجعلته عظيمًا، وعمل آخر يبدو عظيمًا في صورته ولكنه يضعف من جهة النية. ولذلك فمدار الأمر على الإخلاص لله -سبحانه وتعالى.

❖ **المسألة الخامسة:** قال محمد بن شهاب الزهري -وهو أحد أئمة التابعين: (لئلا يتكل أحد ولا

يئأس أحد). الله أكبر!

سيكون الإنسان بين الخوف والرجاء، يرجو رحمة الله -عزَّ وجلَّ- وفي نفس الوقت يخشى عذابه، فربما أعمالٌ صالحة كانت من أسباب دخول الجنة، وربما أعمالٌ يَسِيرَةٌ تكون سببًا في دخول النار، ولهذا لابد أن يكون الإنسان على خوفٍ ورجاءٍ حتى يَسِيرَ في هذا الطريق حتى يبلغ فضل الله -عزَّ وجلَّ- ولهذا لما يقوم في القلب من الإخلاص وإن كانت الأعمال في ظاهرها أنها يسيرة؛ يكون الثواب عند الله -سبحانه وتعالى. ولهذا -أيها الإخوة- لابد للإنسان أن يُعنى بتحقيق الإخلاص في قلبه، فيتذكر هذا الإخلاص، ويتذكر أَنَّهُ يعمل لله -عزَّ وجلَّ- ويعظم هذا في قلبه، ويرجو ثواب الله على هذا.

{قال -رحمه الله: (وعنه مرفوعاً: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ». رواه أحمد والبخاري.

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى سَمِعُهُ مِنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». رواه البخاري.

^١ رواه النسائي وحسنه الألباني، ونصه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَبَقَ دَرَاهِمُ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى غُرَضٍ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا. صحيح البخاري: ٦٥٢، صحيح مسلم: ١٩١٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنًا شَوْكًا عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَجَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغُفِرَ لَهُ.

وله عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجَبَهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجَبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ».

• تحت هذه الأحاديث التي ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى- مسائل:

❖ **المسألة الأولى:** في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ».

• هذا العجب صفة من صفات الله -عز وجل- وهي كغيرها من الصفات، تُثَبَّتُ لِلَّهِ مَعَ قَطْعِ مُمَاطِلَةِ صِفَاتِ اللَّهِ -عز وجل- لَخَلْقِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ -سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

• وهذه الصِّفَةُ وَرَدَتْ فِي التَّنْصُوصِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِهِ -صلى الله عليه وسلم- وهذا من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، حَيْثُ نِسْبَةُ الْعَجَبِ لِلَّهِ -سبحانه وتعالى- وَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ -عز وجل- تَثْبُتُ كَمَا جَاءَتْ فِي التَّنْصُوصِ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْهَا بِكَيْفٍ، كَصِفَةِ النُّزُولِ، وَصِفَةِ الضَّحْكِ، وَيُقْطَعُ نَفْيُ الْمِثَالَةِ لِلَّهِ -عز وجل- لَخَلْقِهِ فِي صِفَاتِهِ -سبحانه وتعالى-.

❖ **المسألة الثانية:** أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي

السَّلَاسِلِ»، الْحَدِيثُ فِي أَصَحِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا يَصْدُقُ عَلَى مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْأَسْرُ مِنَ الْكُفَّارِ فِي الْجِهَادِ، وَكَانَ بَعْدَ الْأَسْرِ مُسْلِمًا، وَهَذَا وَقَعَ مِنْ عِدَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ التَّابِعِينَ، وَتَابِعِي التَّابِعِينَ، فَإِنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا مَوَالِيًا بِسَبَبِ الْأَسْرِ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُمْ وَلِبَائِهِمْ بِهَذَا الْأَسْرِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

• عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رحمه الله تعالى- وَابْنُ سِيرِينَ، كَانَا مِنْ أَبْنَاءِ مَوَالِيٍّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَمِنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نِسْبَهُ، وَالْإِسْلَامُ لَيْسَ حِكْرًا عَلَى جَنْسٍ دُونَ جَنْسٍ، وَإِنَّمَا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الْأَسْرُ فِي صُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ عُقُوبَةٌ وَأَذَى وَمُصِيبَةٌ، وَلَكِنْ رُبَّمَا مَحَنَةٌ أَعْقَبَتْهَا الْمُنْحَةُ مِنَ اللَّهِ -سبحانه وتعالى- فَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ عَجَبِ الرَّبِّ -سبحانه وتعالى- أَنَّ هَذَا الْأَسْرَ كَانَ سَبَبًا لِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَوَاتِيمِ.

• وَكَذَلِكَ حَدِيثُ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِيعِهِ مِنَ اللَّهِ»، فَصِفَةُ الصَّبْرِ تُثَبَّتُ لِلَّهِ -عز وجل- فَاللَّهُ يَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى، وَمِنْ أَسْمَائِهِ -سبحانه وتعالى- الصَّبُورُ.

• وَآثَارُ صَبْرِهِ -سبحانه وتعالى- مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَاللَّهُ -عز وجل- لَا يُقَاسُ صَبْرُهُ بِصَبْرِ خَلْقِهِ، وَلِهَذَا جِلْمُ اللَّهِ -عز وجل- وَصَبْرُهُ لَا يُمَاطِلُ صَبْرَ الْمَخْلُوقِينَ، وَلِهَذَا قَالَ: «عَلَى أَدَى سَمِيعِهِ مِنَ اللَّهِ»، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ -جلَّ وعلا وَتَقَدَّسَ- يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ -وهذا نسبة تعطيل له وعجز- كَمَا يَقُولُهُ النَّصَارَى وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَاللَّهُ -عز وجل- يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ؛ لِأَنَّ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ -سبحانه وتعالى- لَيْسَتْ حِكْرًا عَلَى

أحد، فهي شاملة، ومع ذلك فالله -عز وجل- يُعافيمهم وَيَرْزُقهم، ويُقيم عليهم الحجج، حتى إذا جاء يوم القيامة وَقَّاهم أعمالهم وليس لهم حُجَّةٌ على الله -سبحانه وتعالى- بشيء. فهذا من الأحاديث العظيمة

- كذلك حديث أبي هريرة الذي ذكرته قبل قليل عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا**»، هذا فيه إثبات صفة المحبة لله -سبحانه وتعالى- وأنَّ الله يُحِبُّ عباده، وأنَّ صفة المحبة لله تعالى كغيرها من الصفات، لا تُقاس بصفات المخلوقين على أيِّ وجهٍ كان، وبابها باب الصفات الكاملة، إثباتها كما جاء في النصوص، وعدم السؤال عنها بـ "كيف" ومعرفة معاني هذه الصفة، أن لها معنًى ولها آثار.

وفي الحديث جاء أثر هذه الصفة:

- قال: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا**»، فأثر هذه الصفة أنه «**نادى: يا جبريل**»، فيه إثبات صفة النداء، وأنَّ الله -عز وجل- يُنادي ويتكلم، وكلامه ليس ككلام المخلوقين بأيِّ وجهٍ من الوجوه.
- قال: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا**»، والله -عز وجل- يتكلم -كما هي عقيدة أهل السنة- بحرف يُكتب، وصوت يُسمع.
- قال: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبَهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبُوهُ**».

طبعاً هذه مرتبة عظيمة من مراتب الولاية، أنَّ الولي يبلغ من محبة الله -عز وجل- له أنَّ الله تعالى يُنادي جبريل بهذا، وجبريل يُنادي في الملأ الأعلى بهذا، فهذه مرتبة عظيمة لا تكون إلا لأولياء الله الذين حققوا الإخلاص، وجردوا المتابعة لرسوله -صلى الله عليه وسلم- فيعلم من هذا أنَّ الله -سبحانه وتعالى- يُحِبُّ عبده، وفيه إثبات أنه يُحب -سبحانه وتعالى-.

- قال: «**ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ**»، يعني: يقبله أهل الإيمان؛ لأنَّ العبرة بالقبول ليس لعموم أهل الأرض؛ لأنَّ الأنبياء وهم أنبياء لهم أعداء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فهذا يعني أنَّ القبول في الأرض يكون لأهل الإيمان، فيُحِبُّه أهل الإيمان، وهذه مرتبة عظيمة من مراتب الولاية لعبده -سبحانه وتعالى-.

{قال -رحمه الله: (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرُ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (الآية رواه الجماعة).}

- هذا حديث جرير بن عبد الله البجلي، وجرير من أعيان الصحابة، ومن قبيلة عربية -قبيلة بجيلة- جهة اليمن، وجرير رضي الله عنه -حدث عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فالتَّيَّ -صلى الله عليه وسلم- في مجالس متعددة يُحدث الصحابة ويُخبرهم بما يكون يوم القيامة، فهو يسوق لنا هذا الحديث.

- قال: (كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَظَّرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)، القمر -كما هو معلوم- له أحوال، فتارة يكون هلالًا، وتارة يكون أهدبًا، وتارة يكون بدرًا، وهكذا حتى يصل إلى مرحلة المحاق، فالقمر في ليلة البدر يُعَدُّ من أحسن ليالي الشهر من السُّمَّارِ والمسافرين، ورؤية القمر ليلي البدر من أعظم أحوال رؤية القمر، فيراه النَّاسُ كلهم، ولا يخفى على أحد؛ لأنَّه في مرحلة الهلال أو ما شاكلها يكون خفيًا، وأمَّا ليلة البدر فيمكن على أهل الأرض في الليل مُدَّة طويلة، ولهذا فالنَّبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنَّ أهل الإيمان يرون ربهم كما يرون هذا القمر، وهذه الرؤية تكون في عَرَصَات يوم القيامة، والعَرَصَات: جمع عَرَصَة، وهو المكان الواسع، وتكون في الجنة، وهذه الرؤية خاصة بأهل الإيمان.
- وأمَّا الكفار فقد ثبت أنهم محجوبون عن رؤيته -سبحانه وتعالى، وهذا من العذاب الذي يُعَجِّله الله -عزَّ وجلَّ- لهم في عَرَصَات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كَأَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].
- ولهذا أثبت السَّلَفُ الصَّالح من الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ هذه الصِّفَة، وهي أَنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يُرى، ورؤية الله -عزَّ وجلَّ- هي من أعظم نعيم أهل الجنة كما جاء في حديث صهيب الذي خرَّجه الإمام مسلم في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، حيثُ فَسَّرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- الزيادة برؤية الرَّبِّ -سبحانه وتعالى- في الجنة، فهذا أعظم نعيم لأهل الجنة.
- ولهذا شبَّه النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- هنا الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي؛ لأنَّ الْقَمَرَ مخلوق، والله -سبحانه وتعالى- هو الخالق، ولكن شبَّه الرؤية بالرؤية، يعني: كما أنَّكم تَرَوْنَ الْقَمَرَ ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، أي: لا يلحقكم ضيِّمٌ، ولا يلحقكم أذى في رؤيته، فما أحد يتراحم على رؤية القمر، وكل النَّاس يَرَوْنَه؛ لأنَّه عالٍ في السماء، فيرونها على حدٍ سواء، فكذلك شبَّه الرؤية بالرؤية، ولهذا قال: «لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ».
- والله -عزَّ وجلَّ- يُرى، وحينما يُرى فرؤيته ليست كروية خلقه -سبحانه وتعالى- فهو لا مَثِيلَ له، ولا سميَّ له، ولا نِدَّ له ولا نَظِير -سبحانه وتعالى- ونبين هذا فيما سيأتي -إن شاء الله.
- وهنا لفتة تربوية عظيمة وهي أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- حينما يُحدث الصَّحَابَةَ بما يكون يوم القيامة؛ يُبَيِّن لهم أَنَّ هذا الذي يكون يوم القيامة، وهذه الأعمال الصَّالحة لها أسباب في الدُّنْيَا، فعلى أهل الإيمان أن يتعاطوا أسباب هذا النِّعَم، ولهذا لما حدثهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بما هو كائن يوم القيامة وأن أهل الإيمان سيرونه؛ ذَكَرَ لهم السَّبَبَ فقال: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ولاحظ عبارة النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-!
- يعني: كُنْ حَرِيصًا على هاتين الصَّلَاتين، قبل طلوع الشَّمْسِ، أي: صلاة الفجر، والصَّلَاة قبل الغروب، أي: صلاة العصر.
- ولهذا قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^٣.

^٣ صحيح البخاري (٥٤٢)، صحيح مسلم (١٠١١).

• إذن من أسباب حصول الرؤية لك يوم القيامة أن تكون -يا عبد الله- مَمَّنَ وَاظَبَ وحافظَ على صلاتي الفجر والعصر حيث يُنادى بهنَّ في المساجد؛ لأنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

• وقال ابن مسعود: "لَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ"^٤، هذه السنة الواجبة وليست السنة المستحبة.

• ولهذا ينبغي لأهل الإيمان ألاَّ يُفِرطوا في هذا الثَّواب العظيم، وفي هذا الفضل العظيم، كما أنَّ صلاة الصبح وصلاة العصر جاءت فيها أحاديث كثيرة، فينبغي للإنسان ألاَّ يحولُ بينه وبين هاتين الصَّلَاتين حائل، فيكون حريصًا كل الحرص أن يُصلي هاتين الصَّلَاتين، وأن يتذكر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، فهذه وصية المُحب لمن يُحب -صلوات ربي وسلامه عليه- الذي ما ترك من خيرٍ إلَّا ودلَّ الأُمة عليه -عليه الصلاة والسلام.

عند الكلام عن صفات الله -سبحانه وتعالى- وعن أسمائه، بعض الناس يقول: قد يقع في الذهن بعض التشبيه، فما السبيل إلى دفع هذا التشبيه؟

• عند السلف -رحمهم الله- قواعد عظيمة.

• أولًا: ما يَقذفه الشيطان في قلبك فهذا من وسوسة الشيطان، وينبغي أن تعرف أنَّ الله -سبحانه وتعالى- أعظم وأجل من أن يُدرَك من جهة كيفية الصفات، لهذا فمن قواعد أهل العلم من أهل السنة والجماعة، يقولون: "قطع الطَّمَع عن إدراك كيفية الصفات"؛ لأنَّ القَلْبَ له طمع في إدراك هذه الكيفية، ولكن إذا قطعتَه انقطع، فتعلم أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لا يمكن أن يُدرَك من جهة كَيْفِيَّتِهِ، وتعرف أنَّ للصفة معنى، ولكنَّ الله -عزَّ وجلَّ- أجل وأعظم من أن يُكَيِّفَهُ أهل التكيف -سبحانه وتعالى.

• ولهذا النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فيما جاء عنه من النُّصوص؛ ليس المطلوب منَّا أن نكَيِّفَهَا، ولكن المطلوب أن نثَبِّتَهَا ونعرف معناها، ونثبت آثار هذه الصفة، وفي الحديث لما حدَّث النبي -صلى الله عليه وسلم- بحديث: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ»^٥، فقال الصحابي: أويضحك ربنا؟!

• لكن لم يخض في مسألة التكيف؛ فلم يَقُلْ:

✓ كيف يضحك الرب -سبحانه وتعالى؟!

✓ هل له -تعالى وتقدَّس- أسنان وشفتان؟!

^٤ رواه مسلم (٦٥٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَقَامَ فِي الصَّفِّ).

^٥ صحيح البخاري (٢٦٢٧).

- الله -عزَّ وجلَّ- مُنَّزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَكِنَّ الصَّحَابِي نَظَرُوا إِلَى أَثَارِ هَذَا الضَّحِكِ فَقَالَ: **"لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا"**^١، فَأَثَارَ هَذَا الضَّحِكِ هِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ -عزَّ وجلَّ- بخلقه. ولهذا فَإِنَّ مِنْ أَثَارِ هَذِهِ الرُّؤْيَا: أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُحِبًّا لِرَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سَائِلًا أَنْ يَرِيَهُ اللَّهُ -عزَّ وجلَّ- وَأَنْ يَلْحَقَهُ النِّعَمُ، وَأَعْظَمُ النِّعَمِ هُوَ رُؤْيَا الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي الْجَنَّةِ. جاءت أحاديث كثيرة في أَنَّ هَذَا يَكُونُ يَوْمَ الْمَزِيدِ، وَأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْحُبُورِ وَمِنَ اللَّذَّةِ، وَمِنَ السَّرُورِ وَمِنَ النَّضَارَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَا يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَيُرُونَ أَحْوَالَهُمْ قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ -عزَّ وجلَّ- نَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَحْرِمَنَا فَضْلَهُ.

{قال -رحمه الله: (وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ».

{رواه البخاري}.

- هذا الحديث حديث عظيم، ويشتمل على أحكام كثيرة جدًا، وعلى معاني عظيمة جدًا، ولهذا بعض أهل العلم، منهم الشوكاني -رحمه الله تعالى- المتوفى ١٢٥٠ للهجرة شرحه في كتاب بعنوان: "قطر الولي على حديث الولي"، هذا يُسمى بحديث الولي؛ لِأَنَّهُ حَدَّدَ وَلَايَةَ اللَّهِ -عزَّ وجلَّ- لخلقه وبينها، طبعًا هذه الولاية كائنة، وَأَنَّ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ -عزَّ وجلَّ- كما في حديث جبريل: **«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ»**، وهذه المناداة لا تكون إلا لأولياء الله -عزَّ وجلَّ-.
- وولاية الله لبعض خلقه لا تكون إلا لمراتب الخُلَاص من خلقه، ووردت الولاية في قول الله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [يونس: ٦٢]. من هم؟
- قال الله -عزَّ وجلَّ: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** [يونس: ٦٣]، إيمان وتقوى. إذن سبيل الولاية: الإيمان والتقوى.
- **كيف يكون الإنسان وليًّا لله -عزَّ وجلَّ-؟**  مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ مُتَّقِيًّا لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.
- ولهذا فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا تَوَلَّاكَ فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ كُرْبَكَ، وَيَزِيلُ عَنْكَ الْخُطُوبَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ: مَنْ خَلَقَهُ، وَوَرَدَتِ الْوَلَايَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق: ٢، ٣].
- إذن من أراد أن يَبْلُغَ سَبِيلَ الْوَلَايَةِ فَعَلِيهِ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَيتحقق الإيمان بالإيمان بالله -عزَّ وجلَّ- والمتابعة للنبي -صلى الله عليه وسلم، مع تحقيق الإخلاص

^١ ذهب إلى تقوية الحديث: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فَحَسَّنَهُ فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى" (٣/ ١٣٩)، وَحَسَّنَهُ -أَيْضًا- بِطَرَفِهِ: الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ" (٢٨١٠)، وَانْتَصَرَ لِذَلِكَ ابْنُ الْقَيْمِ بِقُوَّةٍ.

وتجريدته والمتابعة للنبي -صلى الله عليه وسلم- فهكذا تكون الولاية لله -سبحانه وتعالى.

- ولهذا فهذا الحديث بيّن هذه الولاية، وكيف أنّ الإنسان إذا كان الله -عزّ وجلّ- تولاه لا يضره من في الأرض جميعاً، وجاء في حديث عبد الله بن عباس: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»^٧، وفي الآية الأخرى في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إذن سبيل ولاية الله -عزّ وجلّ- هو: الإيمان والتوحيد.

تحقيق التوحيد في القلب، فمن عَظُمَ توحيد الله -عزّ وجلّ- كان ولياً لله، ومن عَظُمَت تَقَوَاهُ لله -عزّ وجلّ- كان ولياً لله، هذه هي الولاية، ولهذا فلا يمكن أن تكون ولاية الله -عزّ وجلّ- لمن يدعو غير الله، أو يستغيث بغير الله، أو يذبح لغير الله، هذه ولاية الشيطان، أمّا ولاية الرَّحْمَن فلا تكون إلا لأهل التَّوْحِيد الذين يعبدونه وحده، ويُخلصون العبادة لله وحده، ولا يخلطون أعمالهم بالشِّرك الظَّاهر الأكبر، أو بالشِّرك الأصغر، أو بالشِّرك الخفي -وهو شرك الرِّياء- فهؤلاء هم أولياء الله -عزّ وجلّ-.

- ولهذا قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا»، أي: مَنْ عَادَى وَلِيَّ اللَّهِ -عزّ وجلّ-.

- «فَقَدْ أَذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»: مَنْ الْمُحَارِبُ وَمَنْ الْمُحَارَبُ؟

المحارب: مَنْ عَادَى وَلِيَّ اللَّهِ -عزّ وجلّ-.

فكيف إذا كان الله -عزّ وجلّ- طلبيه وهو المحارب له! ما ظنك؟!

لاشك أنّه خَابَ وَخَسِرَ، ولهذا فالإنسان يخشى من معاداة أولياء الله -عزّ وجلّ-.

أمّا أهل التقوى والإيمان، فلا يتعرض لعباد الله -عزّ وجلّ- بالظلم؛ لأنّ هذا يفتح عليه باب الحرب من الله -سبحانه وتعالى- نسأل الله السلامة والعافية.

- قال: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ».

◆ هنا نقطة مهمة لا بد أن نجعلها شعاراً لنا في حياتنا، نعلمها لأولادنا، نتعلمها ونطبقها؛

وهي أنّ أعظم القُربِ إلى الله -عزّ وجلّ- هو أداء الفرائض، بعض النَّاسِ عنده خلل، فيتقرب إلى الله -عزّ وجلّ- ويُحَسِّنُ النَّوَافِلَ ويُضَعِفُ الْقَرَأِضَ، والصَّحِيحُ أنّ أعظم شيء هو أداء الفرائض، ومن ذلك أداء الصَّلَوَاتِ الخمس في المساجد، وفي أوقاتها لمن لم يكن من أهل المساجد كالنساء؛ لأنّه يحصل تقصير من النساء في البيوت من تأخير الصَّلوات الفرائض.

^٧ جامع الترمذي (٢٤٥٣).

إذن أعظم قربة هي أداء الفريضة، وكأداء الزكاة، بعض الناس يتصدق ويبخل بالزكاة، فأعظم قربة هي الزكاة، وكذلك الصيام والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، هذه أركان الإسلام، فتحسنها وتحرص عليها كل الحرص.

• ولهذا فالله -عز وجل- قال: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ»، يؤدي الفرائض ثم النوافل، فهو أدى الفرائض ولم يُقَدِّمِ النوافل.

• قال: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، فالنوافل يحبها الله -عز وجل- وكلما تزداد منها تَقَرَّبَ من محبة الله -عز وجل-، إذن هو يُجَاهِدُ في بلوغ سبيل الولاية، والمجاهدة تكون بأداء الفرائض والإتيان بالنوافل.

• قال: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ»، إذا وصل إلى مرحلة الولاية «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ»، يعني: لا يسمع إلا ما يُرضيني، «وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»، لا يُبْصِرُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ -سبحانه وتعالى- «وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا»، يعني: لا يبطش ولا يُعاقب إلا لأجل الله وفي الله. «وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»، فهو لا يذهب إلى مُنْكَرَاتٍ ولا إلى معاصٍ، ولا يشهد الزور؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، مواقع المنكرات والمعاصي، فهو لا يسير برجله إلا إلى مرضاة الله -عز وجل- كاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وزِيَارَةِ المَرْضَى، وصِلَةِ الأَرْحَامِ، وما شاكل ذلك وما شابهه، فهذه ولاية عظيمة.

• ثم بعد ذلك قال الله -عز وجل- عن جزائه: «وَإِنْ سَأَلْتَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ»، فهو وصل إلى مرتبة أنه إذا سأل الله -عز وجل- أعطاه، ولا يحول بينه، ولهذا لا يُقَاسُ الناس بصورهم الظاهرة وأشكالهم، أو مناظرهم، أو هيئاتهم؛ وإنما مقامهم عند الله -عز وجل- فهذا خفي لا يعرفه أحد، وفي الحديث: «رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»^٨، وهذا لا يكون إلا لمرتبة عظيمة وولاية، وما حصل هذا بأمر يسير، لا شك أنه بالمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

• قال: «وَلَمَّا اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ»، إذن الله -عز وجل- يُحَقِّقُ له مطلوبه، يُحَقِّقُ له سؤله ويُعِيْده ممَّا يكره، ومن ذلك أنه يسأل الله -عز وجل- الجنة، ويستعيد بالله -عز وجل- من النار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

• إذن هذه الولاية هي ولاية الله -عز وجل- ولهذا فرَّق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولهذا فيه رسالة ماتعة، أنصح طلاب العلم بقراءتها، وهي رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى: "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لأنه حصل لبس في زمنه -حتى في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حصل لبس- فإنَّ بعض الناس قد يُصَوِّرُ له الطُّرُقِيَّةَ وأهل التَّصَوُّفِ أَنَّ الولاية تكون بهذه

^٨ صحيح مسلم (٥٠٩٨)، وفي لفظ لابن ماجه "أَلَا أَخْبِرُكَ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ؟"، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: "رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضَعْفٌ ذُو طَمَرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ".

المخاريق التي يفعلونها، أو بخرق العادات أو ما شاكل ذلك، فالأمر يُنظر إليه بالاتباع، وتحقيق الإخلاص، ومتابعة النبي -صلى الله عليه وسلم.

إذن ولاية الله -تبارك وتعالى- لا تكون بالمخاريق، ولا بخرق العادة؛ لأنَّ الشَّافعي -رحمه الله- قال: "لورأيته يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتر به حتى يُنظر إليه عند الأمر والنهي"، يعني: عند الحلال والحرام. فإذا ولاية الله -عزَّ وجلَّ- لا تكون بهذا، إنما تكون بتقوى الله تعالى، ومن كان يظنُّ أنَّ ولاية الله -عزَّ وجلَّ- تُدرك بغير هذا فهو من أولياء الشيطان، وليس من أولياء الرحمن.

إذن ثمَّ ولاية لله -عزَّ وجلَّ- ولهذا قد تُجرى المخاريق وخرق العادات على أيدي أولياء الشيطان، ولكن ليس هذا بمقياس؛ وإنما المقياس ما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- وما ذكره قبل ذلك الله -سبحانه وتعالى-.

• مسألة نختم بها في الحديث: قوله: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ».

• هنا الله -عزَّ وجلَّ- وصف نفسه بالتَّردد على الصحيح من أقوال أهل السُّنة، بعض أهل السُّنة يرى إثبات هذه الصفة، وبعضهم يرى أنَّه لا تُثبت، ولكنَّ الصَّحيح أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يُوصَف بالتَّردد كما وصف به نفسه، وهي كغيرها من الصفات، وهذا التردد ليس التردد الناشئ عن عدم العلم بالعواقب؛ بل التردد هنا الذي ذكره الله -عزَّ وجلَّ- سببه اجتماع الإرادتين، فمن محبة الله -عزَّ وجلَّ- لوليِّه ومن رحمته به أنَّه يقضي عليه -عزَّ وجلَّ- القضاء والقدر، وأنه لا بد له من الموت، ولكن لأنه بلغ هذه المرتبة من الولاية فالله -تبارك وتعالى- يكره مساءته، فوصف الله -تبارك وتعالى- التردد بأنه اجتماع الأمرين -أو هاتين الإرادتين- وأمر الله -عزَّ وجلَّ- في قدره في خلقه وأنه لا بد له منه، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [المائدة: ٥٤]. نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفعنا بما قلنا.

{قال -رحمه الله: (وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». متفق عليه).}

• هذا الحديث فيه مسائل:

◀ **المسألة الأولى:** إثبات صفة النزول لله -عزَّ وجلَّ- وهي من صفاته الفعلية الاختيارية، متعلقة بالمشيئة.

◀ **المسألة الثانية:** أنَّ من قواعد أهل السنة: قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات.

✓ فلا يُقال: "كيف ينزل؟"؛ لأنَّ الله لا يُسأل عن صفاته ب: "كيف".

✓ ولا يُقال: "هل يخلو العرش منه إذا نزل؟" فهذه الأسئلة لا تتوجه.

✓ ولا يُقال: "كيف ينزل في الثلث الآخر، والثلث الآخر يختلف في البلدان؟"، لأنَّ الله لا يُقاس بخلقه.

- ومع هذا فالله -سبحانه وتعالى- مع نزوله لا ينفك عن العلو -سبحانه وتعالى- فنزوله ليس كنزول المخلوقين حتى يُقاس بأنَّ المخلوقَ إذا نزلَ علاه شيءٌ، فالله نزوله ليس كنزول خلقه، وصفة العلو صفة ذاتية، يعني: لا تنفك عنه -سبحانه وتعالى- وأمَّا صفة النزول فهي صفة اختيارية فعلية.

◀ **المسألة الثالثة:** أن الله -سبحانه وتعالى- لماذا أخبرنا بالنزول؟

قلنا: إنَّ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- يُخبرُ لما يترتب على النزول من الأثر، فصار أهل التشكيك وأهل الشُّبهات إلى الكلام في النزول، وتركوا أثر هذا النزول. وأثر هذا النزول: الاستجابة، والقرب من خلقه بالإجابة والإثابة، وتفريج الكربات.

◀ **المسألة الرابعة:** أن الله -سبحانه وتعالى- يتكلم، وفيه إثبات صفة الكلام لله -عزَّ وجلَّ، والله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ، وكلامه متعلق بمشيئته وإرادته، فهي صفة ذاتية من جهة أن الله موصوف بالكلام، وفعلية اختيارية من جهة أحاد الكلام.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

